

دار بغداد  
للطباعة والنشر والترجمة

---

---

# نظرات علمية في الأقتصاد والسياسي

تأليف

ل. سيغال

مطبعة الرابطة - بغداد  
١٩٥٨

مكتبة الشيوعيين العرب

<https://sites.google.com/site/arcommunistslibrary>

نسخه للإنترنت بواسطة الماسح الضوئي: الصوت الشيوعي

<https://sites.google.com/site/communistvoice>  
[communistvoice@yahoo.com](mailto:communistvoice@yahoo.com)

## تنبيه من الناسخ الالكتروني

هذه هي الترجمة العربية للطبعة **الاولى** من هذا الكتيب، والتي اصدرها المؤلف **قبل** انعقاد المؤتمر العشرين الخياني المشؤوم للحزب الشيوعي السوفيياتي. ويتضح ذلك من استشهاد المؤلف بنص لستالين في الصفحة ٣٦ (حسب ترقيم النسخة الورقية من هذا الكتيب). وقد اصدر المؤلف طبعت لاحقة لهذا النص، بعد انعقاد المؤتمر العشرين، لم نعتمدها أي منها بالنظر لتسرب الافكار التحريفية لشيوعية الخائن خروتشوف المزيفة اليها - هذه الافكار التي عمقتها عصابة السراق والصوص "بريجينيف - كوسيجن - بودغورني" .....

ونظرا لما ورد اعلاه، فقد نسخنا هذه الوثيقة كما هي من دون أي حذف او مسح، بما في ذلك جزء من فقرة وردت في الصفحة ٣٥ (حسب ترقيم النسخة الورقية) يتضمن افكار خاطئة تعتبر المجتمع الاشتراكي مجتمعا لاطبقيا. وقد ابقينا على هذا المقطع لانه لا يعبر عن تحريفية خروتشوف، بل يعبر عن تفكير ستالين الخاطيء حول هذه المسألة.

لذا اقتضى التنويه.

**الصوت الشيوعي**

## الى المواطنين الاعزاء

مع انهيار سلطان الاستعمار وعملائه ، مع زوال البطش والارهاب والتنكيل الذى كانت الطغمة الخائنة البائدة تمارسه ضد الشعب ، مع بزوغ فجر الحرية والديمقراطية ، الذى انتشر نوره الوضاء منذ يوم ١٤ تموز الخالد ، انطلق الفكر الحر من عقاله ، بعد سنوات طويلة من الكبت والاضطهاد ، انطلق يبشر بالانتصار ، وينشر الوعي الوطنى الديمقراطى ، ليتقف الجموع المتعطشة للعلم والمعرفة بالثقافة الوطنية والديمقراطية الصحيحة ، وليكون كما كان دائما - منارا يهدى ابناء هذا الشعب الابى المجاهد سواء السبيل ، من أجل صيانة جمهوريتنا الحبيبة من كل سوء ، والسير بثورتنا الخالدة الى الامام قدما فى طريقها الطبيعى ، طريق اجتثاث اخر بقايا الاستعمار ، والقضاء على كل اسائده ، وبناء مجتمع ديمقراطى قويم ، وكيان وطنى متين ، يكون عاملا حاسما لضمان مستقبل زاهر سعيد وحياة رغيدة مطمئنة ليس للعراق وحده ، وانما للامة العربية بأسرها .

لقد هزم الاستعمار شر هزيمة ، نتيجة الانتصار الساحق الذى حققه شعب العراق وجيشه المغوار وحركته الوطنية ، وبزعامة سيادة البطل عبدالكريم قاسم وقادة حركتنا الوطنية الاخرين ، واكتسحت ثورة ١٤ تموز الجبارة أمامها كل القيود والسدود التى وضعها

المستعمرون وأعوانهم أمام الشعب ، وكسرت سلاسل العبودية  
الاستعمارية عن اعناق ابناء وطننا العزيز ، الى الابد • وراح الشعب  
يتنفس نسيم الحرية بملىء رثيه •

وكان أول ما فتش الشعب عنه ، هو الكتاب الحر ، هو مصادر  
العلم والمعرفة والوعى ، ولا غرو ، فان شعبنا الشغوف بالعلم والمعرفة ،  
كان يعاني من حرمانه من المعرفة الصحيحة والتوجيه الصحيح ، وكان  
مفروضاً عليه قسراً وبالإكراه ، ان يقرأ التافه من الكتب ، ويطلع  
المجلات الرخيصة التي كانت تنشر السموم الاستعمارية وروح الخنوع  
والميوعة والانانية واليأس • وقد احسنت حكومة الثورة صنعا ، عندما  
فتحت أبواب البلاد على مصراعيها لتتاج الفكر الحر ، لاحسن القصص  
والروايات والابحاث العلمية والكتب الموجهة والمجلات المثقفة ، فان  
الثقافة الحرة ، هي من أحسن الوسائل لتسليح الشعب بالوعى ، ورفع  
كفائه فى النضال والعمل لتعزيز كيان جمهوريتنا الفتية •

ولا شك ، ان من اهم واجبات الادباء والفنانين والعلماء واحرار  
الفكر وقادة الرأى والمثقفين عموما ، سد حاجة هذا الشعب المحروم ،  
لسنوات طويلة ، من ارتشاف مناهل الثقافة الصحيحة ، من تتاج اقلامهم ،  
سواء مؤلفاتهم ، أو بترجمة أحسن المواد التي تزود الجيل الناهض ،  
بالتوجيه الصحيح • كما من واجب كل مخلص ان يساعد على خروج  
تتاج هذه الاقلام الحرة ، الى الناس بيسر وبأثمان تتناسب مع دخل  
المواطن العراقى • واستجابة لهذه الدواعى ، أسست ( دار بغداد  
للطباعة والنشر والترجمة ) التي تدشن نشاطها بنشر هذا البحث الذى  
بين ايديكم ، والذى كتبه عالم اقتصادى من أشهر العلماء الاكاديميين

في الاتحاد السوفياتي ل • سيغال •

ان « دار بغداد » اذ تقدم هذا الكتيب الى القراء الاعزاء ، تـرجو  
ان تكون عند حسن ظنهم • كما وانها تعلن عن استعدادها لمساعدة  
المؤلفين والمترجمين ، من أدباء ، وفنانين وعلماء ، على نشر نتاج افكارهم  
وأقلامهم ، متوخية خدمة قضية الشعب والوطن والجيش ، قضية  
ثورتنا المقدسة •

لتعش حرية الفكر • • ولتحى الجمهورية العراقية معقلا للثقافة  
الحررة والمثقفين الاحرار •

دار بغداد  
للطباعة والنشر والترجمة

## مقدمة

فتحت ثورة ١٤ تموز العراقية المجيدة ، امام الشعب العراقي ، آفاقا رحبة ، لتطوير جدى وسريع لحياته الاجتماعية والاقتصادية ، ورفع مستوى معيشته ، على أسس علمية رصينة ووفق برنامج انشائي يستمد خطوطه من مصالح الشعب ويسترشد اثناء رسمه وتطبيقه ، بمبادئ العدالة الاجتماعية . ان على رأس أهم ، مهام حكومة الثورة ، اعادة النظر فى كيان العراق الاقتصادى واوضاعه الاجتماعية ، واتخاذ التدابير الكفيلة بالسير بالبلاد شطر مستقبل مشرق . وقد ادركت ، الحكومة الوطنية ، هذه الحقيقة منذ اللحظات الاولى ، فوضعت نصب عينها تصنيع البلاد وحماية الصناعة والتجارة الوطنيتين ، وتحقيق الاصلاح الزراعى الذى يرفع من مستوى الفلاح العراقى ، ويوفر فى السوق الوطنية القدرة الشرائية اللازمة لتنشيطها ، كما يضمن صيانة الثروات الوطنية وتوجيه استثمارها فى الاتجاه الذى يخدم تطور البلاد ورفقها ، ويجنبها الهزات الاقتصادية والازمات وشروخ البطالة والهجرة من الريف والتضخم النقدى .

ان بلادنا تمر الان بمرحلة انتقالية ، لنقل المجتمع العراقى ، من مرحلة النظام الاستعمارى شبه الاقطاعى الملكى الرجعى الفاسد ،

الى مرحلة الاصلاحات الديمقراطية البرجوازية ، التي تقوم على انقراض الاستعمار والملكية والاقطاعية ، مرحلة الانتقال من الاحتلال الى الاستقلال ، من الاقطاع الى الاصلاح الزراعى ، من سيطرة الاحتكارية الاجنبية الى السيطرة الوطنية ، الانتقال من مرحلة انعدام الصناعة الوطنية وضمورها الى مرحلة انتعاش وبناء الصناعة الوطنية ، ورفع مستوى الشعب اقتصاديا واجتماعيا . وهذه المرحلة الانتقالية ضرورة تاريخية لا مندوحة من اجتيازها ، ويجب ان يتكاتف جميع المخلصين من أجل اجتيازها بوعى وادراك .

ان تحقيق هذه المهمات التي سردناها أعلاه ، يتطلب كفاءات ومدارك علمية عالية فى دوائر الدولة وأجهزتها وموجهى شؤونها ، وهذه الكفاءات متوفرة الى حد بعيد ، ويمكن توفيرها دون كبير عناء من بين شبابنا الواعى المثقف - كما ويتطلب مستوى لائقا من الوعى العلمى فى اوساط الشعب . وذلك ان تعاون الشعب مع السلطة الوطنية فى هذا الحقل أمر لازم لكى يعى الشعب خطوات البناء ، ويشارك فى رسمه وتنفيذه بثقة وعزم ، ودونما تلوؤ أو تردد .

و « الاقتصاد السياسى » من بين أهم العلوم الاجتماعية التي توضح للشعوب طريق تطورها ، ومراحل انتقالها من حالة اجتماعية معينة ، الى حالة اجتماعية أعلى . لذلك فان نشر مبادئ الاقتصاد السياسى بين الشعب ، سيساعد بشكل فعال ومثمر ، على رفع مستوى مساهمة الجماهير الشعبية فى تحقيق الاصلاحات الاجتماعية التي وضعت الثورة نصب أعينها أمر تحقيقها .

انا بنشرنا هذا الكتيب - الذى يوضح المراحل التي مرت بها



البشرية من عهد المشاعية البدائية حيث كان الانسان يستخدم أبسط أدوات الانتاج ، الى عهد تقدم البشرية عهد الذرة والأقمار الاصطناعية ، ودخولها مرحلة تصفية الاستعمار والرأسمالية ، وبناء المجتمع الاشتراكي في كل ربوع العالم تأمل ان نكون قدما لشبيبتنا العاملة بحثا ينورها ويثقفها ، بالتحليل العلمي الصائب لقوانين التطور الاجتماعي ، ويساعدها على تفهم مرحلتنا الانتقالية وضرورتها •

**محمد ناجي محمد جواد**

## تطور المجتمع منذ بدء التاريخ

~~~~~

الشيوعية البدائية - الرق - الاقطاعية - الرأسمالية - الاشتراكية

بقلم ل . سيفال



قبل سنين ظهر مؤلف كسب شهرة واسعة في جميع انحاء العالم ذلك هو « مبادئ الاقتصاد السياسي » للمؤلف الاقتصادي السوفياتي الشهير سيفال ؛ وقد اتسم المؤلف ببساطته ودقته العلمية . وقد آثرنا ترجمة هذا الفصل منه كما يتضح لقارئنا الكريم المراحل المختلفة التي مرت بها البشرية منذ فجرها حتى يومنا هذا ، وذلك على ضوء الاشتراكية العلمية كما وضعها ماركس وانجلز

لا يستطيع أى مجتمع ان يعيش ويتطور دون أن ينتج الاشياء الضرورية للحياة على كافة أنواعها غير أن وسائل العيش لا توجد جاهزة فى الطبيعة وعلى الانسان أن يوجد لها لنفسه بعمله وعندما ينتج الانسان الاشياء الضرورية للاستعمال يحدث تغيرا فى المادة الطبيعية ويحولها ويكيفها وفق حاجاته . ان الانتاج بهذا المعنى هو فعل الانسان فى الطبيعة ولكن الانسان لا يعيش ولا ينتج بصفته فردا منعزلا بل يفعل ذلك بصفته عضوا فى المجتمع وأن أن عملية الانتاج تفرض وجود علاقة معينة لا بين الانسان والطبيعة فحسب بل بين الناس بعضهم مع بعض أيضا .

ولنأخذ على سبيل المثال معمل نسيج • فالقطن وهو المادة الطبيعية  
يجول في هذا المعمل بواسطة آلات ليست بدورها الا قوة طبيعية كيفها  
وسيطر عليها الانسان ولكننا نلاحظ عدا ذلك ان في هذا المعمل علاقات  
معينة بين الناس : بين العمال الذين لا يملكون وسائل الانتاج من جهة ،  
وبين الرأسمالى الذى يملك هذه الوسائل ويستثمر العمال ، من جهة  
أخرى • ولنأخذ الان معمل نسيج اشتراكيا • فالقطن فيه أيضا يخضع  
لنفس طرق التمويل والصنع ، ويجرى ذلك على آلات مماثلة لآلات  
المعمل الرأسمالى والعمال العاملون فيه يملكون نفس اختصاص عمال  
المعمل الرأسمالى ، ولكن العلاقات بين الناس فى عملية الانتاج فيه ،  
مختلفة تمام الاختلاف عنها هناك فوسائل الانتاج لم تعد قط ملكا  
للرأسمالى ، بل هى ملك لمجموع الطبقة العاملة ، واذا ، فليس هنا  
استثمار أبدا • أن المدير السوفياتى الذى يرأس المشروع الاشتراكى  
ليس مالكا له ، بل هو موظف لدى الدولة البروليتارية ، مكلف بإدارة  
الانتاج وفق مخطط تضعه الدولة البروليتارية • هنا ، يختلف تنظيم  
العمل ، عن تنظيمه فى المعمل الرأسمالى ، ويقف العمال من المعمل  
موقفا يختلف تمام الاختلاف عن موقفهم منه فى المعمل الرأسمالى •  
ونرى فى هذا ، أن الشكل الاجتماعى للانتاج ، وكذلك العلاقات  
بين الناس تختلف فى النظام الرأسمالى اختلافا تاما عما هى عليه فى  
النظام الاشتراكى • ان العلاقات بين الناس فى عملية الانتاج الاجتماعى  
تسمى علاقات الانتاج • ولقد تغيرت علاقات الانتاج خلال التطور  
التاريخى للمجتمع الانسانى ، كما تغيرت الاشكال الاجتماعية للانتاج •  
لقد كانت هذه الاشكال الاجتماعية هى : الشيوعية البدائية ،  
نظام الرق ، الاقطاعية ، والرأسمالية • واليوم يجرى فى الاتحاد

السوفياتى الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فالشيوعية انتقالا  
دشنت عهده ثورة أكتوبر ١٩١٧ ، وتم فيه انتصار الشكل الاشتراكي  
للاتساج .

### ١ - الشيوعية البدائية :

لقد وجد هذا الشكل الاجتماعى للاتساج ، خلال آلاف عديدة  
من السنين ، لدى جميع الشعوب فى أوغل عهود تطور المجتمع البشرى  
فى التأخر ، ومن تلك الحقبة بدأ تطور المجتمع . كان الناس يعيشون  
اذ ذاك فى حالة التوحش ، يقتاتون بما يجدونه فى الطبيعة من نباتات  
صالحة مباشرة للاستهلاك ، كالخضار والفواكه البرية والجوز . ثم  
جاء اكتشاف النار ، فكان كبير الاثر جدا ، اذ سمح بايجاد مصادر  
جديدة للغذاء ، فصار الناس يتغذون بالسمنك والسرطانات وبعض  
الحيوانات المائية الاخرى . وكانت الحفا ، والحجارة غير المنحوتة ،  
أولى الادوات التى استعمالها الناس ، ثم جاء اختراع الرمح الحجري  
المسنون الرفيع ، ومن بعده السهام الحجرية ، فهياً للناس نتاجا غذائيا  
جديدا هو لحم الحيوانات ، فصار القنص ، الى جانب البحث عن الاغذية  
النباتية وصيد الاسماك ، احدى وسائل الحياة . وقد خطا الانسان  
بعد ذلك خطوة كبيرة الى امام ، حين استعمال الادوات المصنوعة من  
الحجر المنحوت ، وهى التى سمحت له بمعالجة الخشب كى تبنى منه  
المساكن .

ومهما يكن من عظمة كل هذا التطور الذى قاد الانسان خلال  
آلاف السنين من الحياة نصف الحيوانية ، الى حياة الانسان الذى  
يعرف كيف يصنع فأسا من الحجر ، وكيف يبنى مسكنا ، فان الناس

يقوا مع ذلك ضعافا الى أقصى حد فى الكفاح ضد قوى الطبيعة • وكان هذا الضعف يبدو على الاخص فى عدم استقرار مصادر الغذاء ، وعدم دوامها • لقد كان الناس تحت رحمة الصدف ، غير واثقين من انهم سيجدون دائما صيدا ومنتجات نباتية • ولم يكن فى امكانهم ان يحلموا بادخار بعض القوت ، فى وقت يضطربهم الى ان يجدوا يوما فيوما ، ما يتغذون به ، دون ان يستشعروا نحو غدهم أية طمأنينة •

وكان الناس ضمن هذه الشروط مبغثرين بالضرورة : فالغذاء الذى كان يمكن بعد جهد ان يستخرج من أرض ما ، لم يكن ليكفى للقيام بأود كثافة أكبر من السكان •

وكان الناس يعيشون اذ ذاك مجتمعين فى قبائل مؤلفة من « بطون » متعددة وكانت هذه « البطون » ، التى تضم مئات من الناس ، تشمل عائلات كبيرة تجمعها صلات القربى • اما التملك الخاص لادوات الانتاج فلم يكن موجودا ، وكان اقتصاد « البطن » يدار بصورة مشتركة ، تعاونية : أى انهم كانوا يقومون بصورة مشتركة بالقنص والصيد ، وبتهيئة الغذاء واستهلاكه ، وكانت المساكن ذاتها مشتركة • ويذكر انكلز فى كتابه « اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » مثال بعض جزر المحيط الهادى « الباسيفيك » حيث كان يعيش حوالى ٧٠٠ من الناس ، بل قبائل كاملة فى بعض الاحيان ، تحت سقف واحد ، وفى اقتصاد مشترك •

لقد كان هذا النظام الشيوعى البدائى ضروريا للمجتمع الانسانى ، فى هذه المرحلة من التطور • فلقد كان من المستحيل على المجتمع ، لو عاش أفراده حياة منعزلة مبشرة • ان يخترع الاسلحة والادوات الابتدائية ، وان يحسنها فيما بعد • ولم يستطع الناس ان يحرزوا

انتصاراتهم الاولى فى ميدان الكفاح ضد الطبيعة ، الا بفضل حياتهم  
التعاونية • لقد كان اتحادهم فى « بطن » شيوعى ، هو قوتهم  
الرئيسية •

لم يكن استثمار انسان لانسان آخر موجودا فى المجتمع الشيوعى  
البدائى ، بل لم يكن هذا الاستثمار ممكنا فيه • لقد كان العمل مقسما  
بين الرجل والمرأة ، وكان فى القبيلة أفراد أقوى من غيرهم وأفراد  
أضعف ، ولكن لم يكن هناك استثمار •

ليس الاستثمار ممكنا ، الا اذا استطاع الانسان ان ينتج من  
وسائل الحياة ، ما يكفى له ، وللآخرين ايضا • فهذا الشرط وحده ،  
يمكن لفرد ان يعيش عالة على عمل الآخرين • ولم يكن من الممكن  
والحالة هذه ، ان يوجد فى المجتمع البدائى المجبر على تدارك رزقه  
يوما فيوما ، أى استثمار ، وهو الذى لم يكن يستطيع ان ينتج الا  
الضرورى الصرف من الاشياء ، أما الاسرى الذين كانت القبائل تحصل  
عليهم فى الحرب ، فكانوا يقتلون - ويؤكلون احيانا - أو يقبلون اعضاء  
فى القبيلة الآسرة •

لقد كان مستوى تطور قوى المجتمع المنتجة هو الذى يحدد  
شروط النظام الشيوعى البدائى • ومن الخطأ التصور ان الناس البدائيين  
هم الذين اوجدوا هذا النظام عن وعى منهم ، فلقد تشكل وتطور  
بصورة طبيعية ، ودون علاقة بارادة الناس أو وعيهم •

« ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعى لمعيشتهم ، يقيمون فيما بينهم  
علاقات معينة ، ضرورية ، مستقلة عن ارادتهم ، وتطابق علاقات  
الانتاج هذه درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية »<sup>(١)</sup> •

---

(١) كارل ماركس وفرديريك انكلز : الدراسات الفلسفية •

ولقد جاء التطور الذى حدث بعد ذلك فى قوى المجتمع البدائى المنتجة - كتحسين الادوات الموجودة ، واختراع أدوات جديدة ، وظهور تربية المواشى ، والزراعة ، واستعمال المعادن - فأدى الى حدوث تغيير فى علاقات الانتاج • وتفسخت الشيوعية البدائية وفقا لنفس الضرورة الطبيعية التى أوجدتها ، واخلت المكان أمام مجتمع الطبقات •

### انحلال الشيوعية البدائية :

كان تدجين الحيوانات ، وحلول تربية المواشى محل قفصها ، العامل الذى فتح عهد تفسخ الشيوعية البدائية • فقد عرفت القبائل التى كانت تعيش فى اراضى غنية بالمراعى ، تربية المواشى للمرة الاولى ( وكان ذلك على الاخص على ضفاف الانهار الكبرى ، فى جنوبى غربى آسيا ، والهند وأحواض آموداريا وسيرداريا - تركستان الروسية - ودجلة والفرات ) • واضحت تربية المواشى بالنسبة لهذه القبائل مصدرا ثابتا للحليب واللحم والجلود والصوف • فكانت قبائل الرعاة بذلك تملك من الاشياء المعدة للاستعمال ما كانت القبائل الاخرى - التى لا تربي المواشى - محرومة منه • واذن فقد سجل ادخال تربية المواشى أول تقسيم اجتماعى للعمل • وقبل ذلك ، كانت المقايضة بين القبائل المختلفة ترتدى طابعا عارضا ووليد الصدفة المحضة ، ولم يكن لها فى حياة القبائل والبطون أى دور ، ولكن تقسيم العمل بين قبائل الرعاة والقبائل الاخرى ، دشن عهد المقايضة المنظمة فيما بينها •

ثم كانت ثانى خطوة الى امام فى تطور القوى المنتجة ، ظهور الزراعة ( زراعة البساتين أول الامر ، ثم زراعة الحبوب فيما بعد ) ،

فلقد خلقت مصادر دائمة للاغذية النباتية • وقد أدى اختراع نول الحياكة الذي يرجع الى هذا العهد أيضا ، الى امكان نسج الاعمشة والثياب الصوفية ، وتعلم الناس بعد ذلك ان يصهروا الفلزات المعدنية كالنحاس والرصاص ( اما استخراج الحديد ، فقد اكتشف فيما بعد ) ، وان يصنعوا أدوات وأسلحة وأواني من الشبه ( البرونز ) •

### اول انقسام للمجتمع الى طبقات :

وقد كان من أثر هذا كله ، ان زادت على مقياس واسع ، انتاجية العمل ، وسيطرة الانسان على الطبيعة واطمئنانه لفته ، ولكن هذه القوى المنتجة الجديدة للمجتمع كانت قد تجاوزت حدود الشيوعية البدائية •

« ان نمو الانتاج فى جميع فروعها - تربية المواشى ، والزراعة ، والانوال المنزلية - اعطى قوة العمل الانسانية القدرة على خلق كمية من المنتجات أكثر مما يجب للقيام بأود الانسان ، وزاد فى الوقت عينه مجموع العمل اليومى الذى يقع على عاتق كل فرد من أفراد العشيرة ، أو المشاعية المنزلية ، أو العائلة المنزلة ، فصار من المرغوب فيه ضم قوى عمل جديدة ، فقدمتها الحروب ، وهكذا حول أسرى الحرب الى عبيد ••• لقد ولد من أول تقسيم اجتماعى كبير للعمل ، أول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين :

اسياد وعبيد ، مستثمرين ( بكسر الميم الثانية ) ومستثمرين ( بفتح الميم )<sup>(١)</sup> •

كان العبيد أناسا غرباء عن « البطن » ولا يشكلون جزء منه •

---

(١) فردريك انكلز : اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة •



ولكن تطور القوى المنتجة وظهور الرق ، أدى الى عدم التساوى بين  
اعضاء « البطن » نفسه ، وبالدرجة الاولى بين الرجل والمرأة •  
« كان الكسب دائما عمل الرجل ، وهو الذى يصنع ويملك  
الوسائل الضرورية لهذا الكسب • وكانت قطعان المواشى هى وسيلة  
الربح الجديدة ، ولذلك كان تدجينها أولا ، وحراستها ثانيا ، عمل  
الرجل ، ولهذا كانت بالتالى ملكا له ويعود اليه ما يحصل عليه مقابلها  
من سلع وعبيد • كان كل ما يأتى به الانتاج آتئذ من ربح يعود الى  
الرجل ، وكانت المرأة تتمتع به معه ، ولكن دون ان تكون لها أية  
حصة فى ملكيته » (١) •

وفى ما بعد ، ظهر عدم التساوى بين رؤساء العوائل المختلفة ،  
وساعد عليه ما نتج عن التقسيم المتزايد للعمل من جراء تطور المقايضة •  
وجاء استعمال الحديد فزاد فى تنوع الادوات والاشياء المستعملة ،  
واتسعت الزراعة كذلك بفضل ادخال المحراث ذى السكة المعدنية ،  
فأضيفت الى الحبوب مزروعات أخرى •

« ولم يعد ممكنا بعد هذا ان يقوم الفرد نفسه بعمل بلغ هذا  
المبلغ من التنوع ، فحصل اذ ذاك ثانى تقسيم كبير للعمل : فانفصل  
عمل الحياكة عن الزراعة » (٢) •

« والى جانب الفرق بين الاحرار والعبيد نشأت فوارق جديدة  
بين الاغنياء والفقراء - فمع هذا التقسيم الجديد للعمل نشأ انقسام  
جديد للمجتمع الى طبقات • ان الاختلافات فى الملكية بين رؤساء  
العوائل الفردية قد فسخت المشاعية المنزلية القديمة حيث كانت لا تزال

(١) انكلز : المصدر ذاته •

(٢) انكلز : المصدر ذاته •

قائمة ، وانحل معها العمل المشترك فى الارض لحساب هذه المشاعية ،  
ومنحت العوائل الخاصة الارض القابلة للزراعة ، لمدة محدودة أول  
الامر ، ثم صارت ملكا لها الى الابد «(١)» .

• وهكذا تم الانتقال الى الملكية الخاصة .

وقد أدت كثافة السكان المتعاظمة الناشئة عن انتاجية العمل  
المتعاظمة ، وعن تزايد الروابط من مختلف القبائل ، الى دمج البطون  
والقبائل ، شيئا فشيئا ، فى شعوب • ونجد من جهة أخرى ، ان تفسخ  
المشاعية البدائية ، والتفاوت المتزايد بين اعضائها ، وعلى الاخص  
استخدام عمل العبيد على نطاق عام ، كل ذلك أدى الى تشكيل الدولة  
كجهاز سيطرة من الطبقة المستثمرة على الطبقة المستثمرة •

لقد تفسخ نظام الشيوعية البدائية تحت ضغط القوى المنتجة التى

اوجدها ، وافسح المكان لمجتمع جديد منقسم الى طبقات •

ويؤكد أعداء الشيوعية ، ان مجتمع الشيوعية البدائية لم يوجد  
قط ، على دعواهم ، وان الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات ،  
كانا موجودين منذ وجد المجتمع • ويحاول هؤلاء جهدهم ان يظهروا  
ان الملكية الخاصة لا تنفصل عن طبيعة الانسان ذاتها ، وانه لا يمكن  
ملكية من نوع آخر ان توجد ، وان المجتمع كان دائما منقسما الى  
طبقات وان مجتمعا دون طبقات هو فرضية لا يمكن تصورها • ان انكار  
وجود الشيوعية البدائية هو من مصلحة البرجوازية وعملائها فى  
نضالهم ضد الشيوعية الحديثة •

ولقد برهن ماركس وانكلز منذ ١٨٤٥ ( فى كتاب « الاتجاه  
الفكرى الالماني » ) ، ان الشيوعية البدائية كانت الشكل الاول

---

(١) انكلز : المصدر ذاته •

للمجتمع • ثم انتهى العالم الامريكى مورغان بعد ذلك بثلاثين سنة ( فى ١٨٧٧ ) ، وبصورة مستقلة عن مباحث ماركس وانكلز ، الى نفس النتيجة ، بعد أن درس مطولا القبائل المتوحشة ونصف المتوحشة فى امريكا وجزر المحيط الهادى • ولا تزال بقايا الشيوعية البدائية موجودة حتى أيامنا هذه لدى عدد من الشعوب فى شكل شيوعية زراعية ، تملك الجماعات الزراعية فيها الارض ملكا مشتركا ، وتوزع حصصا منها على اعضائها للتصرف بها بصورة مؤقتة • وليس يمكن بعد هذا ، ان يوضع موضع الشك ، وجود الشيوعية البدائية كنقطة بدء فى تطور الشعوب كلها •

ولنبحث الان نظام الرق الذى نشأ من انقاض الشيوعية البدائية •

## ٢ - نظام الرق :

لم يكن عمل العبيد فى بداية هذا النظام ، شائعا على نطاق واسع • فكانت هناك ، الى جانب العائلات التى تستخدم هذه اليد العاملة ، عائلات كثيرة تكفى بقوات عملها العائلية الخاصة • ولكن لما تطورت المبادلة ، وظهر النقد ، أزال الاستثمارات الكبيرة ، التى كانت تستخدم جهد العبيد ، الاستثمارات الصغيرة • واليك كيف جرت هذه العملية •

لقد أدى ازدياد تقسيم العمل والتبادل ، الى نشوء التجارة ، وطبقة التجار الذين يشترون البضائع ويبيعونها • وقد كان هذا ، كما قال انكلز ، « ثالث تقسيم للعمل ذى أهمية رئيسية » • فان التجار كانوا يستفيدون من عزلة المنتجين الصغار عن السوق ، فيشترون منهم البضائع بأسعار بخسة ، ويفاودون بيعها بأسعار أعلى ، فكانوا بهذا الشكل يستثمرون المنتجين والمستهلكين فى وقت واحد • ثم كان من نتيجة

نمو الانتاج السلمى والتبادل النقدى ، من جهة أخرى ، « أن جاءت القروض بعد شراء السلع بالمال وجاءت معها الفوائد والمراباة ،<sup>(١)</sup> . ان رأس المال الربائى ، يكبل المنتجين الصغار - الفلاحين والحرفيين - ويستعبدهم عن طريق الديون . ففى اليونان القديمة وفى روما ، وقع أكثر المنتجين الصغار فى حقة قصيرة من الزمن تحت عبودية المرابين . وقد كان النضال بين المرابين وبين مدينهم ، الشكل الرئيسى للنضال الطبقي بين السكان الاحرار .

« كان النضال الطبقي ، ايام الاقدمين ، فى الدرجة الاولى ، نضالا بين الدائنين والمدنين ، وقد انتهى فى روما الى زوال المدين الشعبى وتحوله الى عبد ،<sup>(٢)</sup> .

وقد أدى هذا النضال الى خراب المنتجين الصغار وتحولهم الى بروليتاريين . ولكن هؤلاء ، فى روما القديمة ، لم يكونوا بروليتاريين بالمعنى الحديث للكلمة ، ولم يكونوا أيضا عمالا ، انهم جماعة من المعدمين لا غير . وقد احتكر كبار الملاكين العقارين أراضي الفلاحين الذين اصابهم الخراب ، وانشأوا عن طريق تعميم استخدام عمل العبيد ، استثمارات كبرى لتربية المواشى والزراعة ، وزراعة البساتين سميت « لايفونديا » . وصار عمل العبيد يستخدم أكثر فأكثر فى معامل الحرفيين التى كانت أحيانا على درجة من الاتساع لا بأس بها . وصار العبيد يعملون فى المناجم والورشات الكبرى ، وفى شق الطرق ، وفى السفن ذات المجاذيف ، وفى كل مكان . لقد اصبح نظام الرق أساس كل الانتاج ، وصار عدد العبيد يفوق عدد السكان الاحرار

(١) انكلز : اصل العائلة .

(٢) ماركس : رأس المال .

اضعافا عدة • فكان في اثينا ٣٦٥ الف عبد مقابل ٩٠ ألف حر ، وفي كورينثيا ٤٦٠ ألف عبد مقابل ٤٦ ألفا من الاحرار •  
« وهكذا تقدم تجمع الثروة وتمركزها في أيدي طبقة قليلة من الناس ، تقدا سريعا ، مع اتساع التجارة والنقد والربا ، والملكية العقارية والرهونات ، والى جانب هذا ، ازداد افقار الجماهير ، وتضخم جموع الفقراء ••• ومع هذا الانقسام بين الرجال الاحرار الى طبقات حسب ثروتهم ، ازداد بشكل كبير ، وخصوصا فى اليونان ، عدد العبيد الذى كان عملهم الاجبارى يؤلف القاعدة ، التى يقوم عليها التركيب الاجتماعى الاعلى كله » (١) •

كان العبد ملكا مطلقا لسيدته الذى كان يستطيع ان يتصرف به تصرفه بالسوائم • وكان العبيد محرومين من كل الحقوق المدنية ، حتى الاساسية منها • وكان أسيادهم يستطيعون قتلهم دون ان ينالهم عقاب • من الواضح ان شروطا كهذه ، كانت تجعل من الضرورى اللجوء الى العنف لارغام العبيد على العمل • فكان استثمار العبد الفظيع سبب تهدم قواهم السريع ، فاذا عجزوا عن العمل ، قتلوا • وكان من الضرورى لاستبدال الموتى بغيرهم ، ولتوسيع الانتاج ، ان يكون هناك فيض لا ينقطع من العبيد ، فكان الاسياد يتداركونهم عن طريق الحروب التى كانت تشنها الدول النخاسة على الدوام تقريبا •

وقد أدى استثمار العبيد ، هذا الاستثمار الحاد ، الى تمردات ، كان اخطرها التمرد الذى قاده سبارتوكوس من سنة ٧٣ الى سنة ٧١ قبل الميلاد ، ولكنها انتهت جميعا الى الفشل •  
لقد كان نظام الرق مرحلة ضرورية فى تطور المجتمع البشرى •

---

(١) انكلز : اصل العائلة •

وكان الرق قد صار فى شروط انحلال المشاعية البدائية ، الاساس  
الوحيد للتطور الاجتماعى •

« كان ادخال نظام الرق ، فى الظروف التى حصل فيها ، تقدا  
كبيرا • ولقد كان من المقدر ، أبدا ان الانسانية التى ولدت من  
الحيوانية ، كانت بحاجة الى وسائل بربرية ، بل حيوانية تقريبا ،  
لتنفض عنها آثار البربرية »<sup>(١)</sup> •

كان العمل اليدوى اذ ذاك أساس الانتاج ، ولم يكن الانتاج  
الكبير ، ممكنا دون استخدام عمل العبيد على نطاق واسع • لقد جعل  
نظام الرق فى حيز الامكان ، ايجاد تقسيم أكبر للعمل بين الحياكة  
والزراعة ، كما سمح ببناء الأثار الضخمة التى شادها الأقدمون ،  
وايجاد الملاحة وصناعة استخراج كنوز الارض • ولو لا نظام الرق ،  
لما استطاعت العلوم والفنون ( كالرياضيات والميكانيك والجغرافيا والفلك  
والنحت والفنون الجميلة ) ان تبلغ ما كانت عليه ايام الأقدمين من  
مستوى رفيع نسبيا •

ولكن تطور القوى المنتجة ، لم يكن يفيد الا قبضة من المستثمرين ،  
اما بالنسبة لمجوع العبيد ، فكان يعنى ما لا يطاق من الآلام وضروب  
الحرمان • ولكن هذا كان على وجه العموم ، قانون تطور القوى  
المنتجة فى المجتمع المنقسم الى طبقات •

« لما كان أساس الحضارة استثمار طبقة لآخرى ، كان لابد  
لتطوره كله ان يتخبط فى تناقض مستديم فكل خطوة الى أمام فى  
الانتاج ، هى فى الوقت عينه خطوة الى وراء فى وضع الطبقة المضطهدة ،  
أى الاكثرية الكبرى من الناس • وكل خير لاحدى الفئتين ، هو

---

(١) انكلز : « السيد اوجين دوهرنينغ يقرب العلم » •

بالضرورة شر للفئة الأخرى • وكل تحرر جديد لطبقة من الطبقات ،  
اضطهاد جديد لطبقة أخرى • وان لنا في استعمال الآلات ، وما نجم  
عنه من نتائج معروفة في العالم كله ، برهانا ساطعا على ما نقول ،<sup>(١)</sup> •  
لقد كان نظام الرق شكلا اجتماعيا ضروريا من أشكال تطور  
القوى المنتجة ، في مرحلة معينة من مراحل التاريخ ولكن هذا التطور  
بدوره ، كان سببا لانحطاط هذا النظام •

### انحطاط نظام الرق :

في ظل نظام الرق ، لم يتطور فن العمل ( التكنيك ) أى تطور  
تقريبا • فقد كانت روما القديمة واليونان تطوران على الأخص إنتاج  
الأشياء الكمالية والأسلحة ، وبناء القصور والمعابد ، والطرق الحربية ،  
أما في العمل وخصوصا في الزراعة التي كانت فرعا أساسيا من فروع  
إنتاج ذلك الزمن ، فقد بقي تقريبا دون أى تغيير ، وكان أساس تطور  
الإنتاج هو استخدام يد العبيد العاملة الرخيصة وكان ذلك يفرض  
زيادة عددهم دون انقطاع • ولما كانت الحرب هي المصدر الرئيسي  
لتدارك العبيد ، فقد فتحت روما خلال بضعة قرون كل أوربا الغربية  
تقريبا ، وآسيا الصغرى ، وساحل أفريقيا الشمالية على البحر الأبيض  
المتوسط •

وقد خضعت المقاطعات التي فتحتها روما لاستثمار رهيب • فكانت  
موردا خصبا تجنى منه روما الضرائب ، ويخضع سكانها لنهب الموظفين  
الرومانيين الإداريين والجيوش الرومانية المقيمة فيها ، نهباً لا رحمة  
فيه • ولقد أدى هذا الاستثمار البربري للشعوب المغلوبة على أمرها

(١) انكلز : اصل العائلة •

الى تهديم قواها المنتجة تهديما عاما .

وإذا كان نظام الرق فى عهد نشأته ، وفى أيامه الاولى عاملا فى تطور القوى المنتجة • فهو قد صار فيما بعد سببا لتهديم هذه القوى • وكاد هذا الانحطاط فى القوى المنتجة ان يؤدى بدوره الى انحلال نظام الرق وزواله • وعلى قدر ما كان يزداد الافقار الشامل ، وانحطاط التجارة والحياكة والزراعة ، كان عمل العبيد ينقطع تدريجا عن ان يكون عملا مفيدا ، وذا ربح •

• لقد قضى نظام الرق القديم زمنه ، ولم يعد يعطى بعد ذلك أية فائدة تستحق الذكر ، لا فى الريف حيث الزراعة الكبرى ، ولا فى « مانيفاكورات » المدن ، واختفى سوق منتجاته »<sup>(١)</sup> .

فلما انحطت الاستثمارات الكبرى المؤسسة على عمل العبيد ، عاد الانتاج الصغير فصار ربحا من جديد ، وأخذ عدد العبيد المعتقين يتزايد دون انقطاع ، وتتجزأ مع تزايد المزارع الكبرى ( لاتفوتنديا ) الى اراضى صغيرة يزرعها العامرون<sup>(٢)</sup> . كان العامر مزارعا يتلقى أرضا يتصرف بها أبدا ، ويقدم مقابلها اناوة نقدية ، أو من محصوله • ولم يكن هذا العامر مزارعا حرا ، لانه كان مرتبطا بالارض لا يستطيع تركها ، كما كان يمكن ان يباع معها • ولكنه من جهة أخرى ، لم يعد عبدا ، فلم يعد ملكا شخصا لسيد الارض ، ولم يعد لهذا السبب ان يجبره على القيام بهذا العمل أو ذلك ، ولا ان يحرمه من الارض

(١) انكلز : اصل العائلة •

(٢) آثرنا كلمة العامر لتعريب ( كولون ) ولم نستعمل ( مستعمر ) لمعناها الحديث المشهور ، والعامر من عمر الأرض بمعنى سكنها وأحيائها - العرب - •



التي كان مرتبطا بها • ولقد كان اولئك العامرون اسلاف اقنان القرون الوسطى ، وكان أكثرهم من العبيد السابقين ولكن بينهم مع ذلك عددا من الرجال الاحرار أيضا ، انحدروا الى مرتبة العامرين ، ولو كانوا أقل عددا •

الا ان نظام الاعمار لم يكن يحل التناقض الذي خلفه نظام الرق •

« لم يعد نظام الرق يعطى أية فائدة ، ولذلك كان يموت شيئا فشيئا • ولكنه كان يترك وراءه أبرتة السامة • وهي احتقار الرجال الاحرار للعمل المنتج • هنا كان المأزق الذي وقع فيه العالم الروماني ، والذي لم يجد منه مخرجا • فنظام الرق لم يعد من الناحية الاقتصادية نظاما يمكنه البقاء ، وعمل الرجال الاحرار ، كان اخلاقيا ، موضع الاحتقار ، فالرق لم يعد يمكن أن يكون أساس الانتاج الاجتماعي ، وعمل الاحرار لم يكن يمكنه ، حتى ذلك الوقت ان يكون أساسا له • وكان العلاج الوحيد لهذه الحالة ، ثورة كاملة ،<sup>(١)</sup> •

عندما كان اقتصاد نظام الرق قويا وثابتا ، انتهت تمردات العبيد التي كانت تحدث من آن الى آخر الى الفشل ( وأكبرها جميعا تمرد سبارتاكوس من سنة ٧٣ - ٧١ قبل الميلاد ) • ولكن الوضع تغير تماما مع انحطاط اقتصاد نظام الرق ، وانحطاط الامبراطورية بوجه عام ، وقد تكلمنا عنه آنفا • وقد اتخذت تمردات العبيد منذ القرن الثاني للميلاد ، شكلا أكثر حدة ، وصادفت على الاغلب تأييدا من قبل الطبقات الفقيرة من السكان الاحرار - وهو أمر له أهمية خاصة • وصادف في الوقت عينه ، ان بدأ البرابرة الجرمان يتوغلون في

(١) انكلز : اصل العائلة •

أراضي الامبراطورية الرومانية التي كانوا معها في حالة حرب منذ عدة قرون فسهل هجوم الجرمان تمردات العبيد ، في هزيمة روما على يد الجرمانيين ، وأدت هذه الهزيمة من جديد ، الى الاسراع في سير ثورة العبيد وتصفية نظام الرق •

في نهاية القرن الخامس ، انتهى نضال الجرمان ضد روما الى هزيمة الامبراطورية الرومانية والى تفسخها • وكانت الشعوب الجرمانية ، وعددها خسة ملايين تقريبا ، في درجة منحنطة من درجات التطور ، وكان الرق موجودا لديهم في شكله الابتدائي وقد كانت « بطون » القبائل الجرمانية ، بسبب نضالها ضد روما مدى عصور كاملة ، تحمل على الاخص طابع ديمقراطية عسكرية • الا ان الجرمان لما فتحوا روما ، تركوا نظام « البطون » الذي كان يستحيل معه ادارة الدولة ، وخلقوا سلطة سياسية جديدة : السلطة الملكية التي كانت في الاساس سلطة القائد العسكري •

لقد أخذ الفاتحون الجرمان ، ثلثي مجموع اراضي الرومان ، ووزعوها على « البطون » والعائلات • ولكن قسما هاما من الاراضي المفتوحة ، وزعها الملوك على القادة العسكريين ، الذين اعطوها بدورهم الى محاربيهم ليتصرفوا بها تصرفا دائما ، دون ان يكون لهم حق بيعها أو التخلي عنها لآخرين • ان هذه الاراضي التي بقيت تحت سلطة الملك العليا ، سميت اقطاعات ، وسمى أصحابها أسيادا اقطاعيين • ولم يكن في وسع انتاج الفلاحين الصغير ، في هذا العصر المليء بالحروب المستمرة ، ان يعيش دون حماية الالسياد الاقطاعيين الكبار الذين كانوا في عين الوقت قادة عسكريين ، فمر الفلاحون تدريجيا ، وخلال ٤٠٠ سنة منذ سقوط روما ، تحت سيطرة هؤلاء الالسياد • وكان الفلاحون

مرغمين على ان يضعوا اراضيهم تحت حماية السيد الاقطاعي ، الذي يصبح مالكا لها ، دون ان يستطيع بيعها أو التخلي عنها لشخص ثالث ، ومقابل هذه الحماية ، كان الفلاحون يتعهدون بأن يقدموا للسيد الاقطاعي ولمحاربه ، محاصيل غذائية ، وان يقوموا بمختلف الاعمال لحسابه . وهكذا نشأت حوالى القرن التاسع ، الاقطاعية ، أو النظام الاقطاعي .

### ٣ - الاقطاعية :

كان الانتاج الفلاحي الصغير ، وانتاج صغار الحرفيين الاحرار ، الاساس الاقتصادى لنظام الانتاج الاقطاعي ، وكان الانتاج انتاجا طبيعيا بالدرجة الاولى ، أى ان الحاجات المنتجة فيه لم تكن معدة للتبادل . واتخذ الاستثمار الاقطاعي للفلاحين شكلين رئيسيين : ١ - اجبار الفلاح على ان يعمل مجانا أياما معينة من الاسبوع فى حقول السيد ( وهى السخرة ) ، ٢ - اجباره على تسليم جزء من محصول ارضه الخاص ( وهى الاتاوة ) . وكان الفلاح يملك حق ترك سيده لينضم الى سيد آخر ، ولكنه لا يستطيع مع ذلك ان يتحرر من السيادة الاقطاعية .

وكان المنتجون الحرفيون المستقلون الذين يقطنون فى المدن ومنتجون بقصد البيع ، يسدون قسما كبيرا من حاجاتهم بما ينتجونه بعملهم الخاص ( فكانوا يملكون مواشى ، وبستانا ، وحقلا فى بعض الاحيان ) وكان التبادل محليا على الاخص ، ويجرى بين المدينة والقرى المجاورة لها . والى جانب هذا كانت هناك تجارة المنتجات المستوردة من البلاد الاخرى ، وخصوصا الاشياء الكمالية ، والافاوية ( البهارات )

وغيرها • ولكن لم يكن هناك تقريبا تبادل بين المناطق المختلفة لكل قطر • ولما كان طابع الانتاج طبيعيا ، وكان تطور المبادلات ضعيفا ، وكانت الطرق والمواصلات سيئة ، كانت البلاد مجزأة الى مقاطعات ومناطق مستقلة ، واضطرت المدن التي كان يسكنها الحرفيون والتجار على الاخض ، لان تخوض غمار نضال قاس وطويل الامد ، لتحصل على استقلالها الذاتى « اوتونومى » ، فكانت محصنة ، وتملك حامياتها الخاصة ، وكان الحرفيون متكئين فى منظمات حرفية « كوربوراسيون » استدعى وجودها وجود مستودعات مشتركة ، وضرورة مراقبة الاسعار ونوع المصنوعات بغية تفادى المزاحمة • وقد كان التجار يملكون بدورهم منظماتهم الخاصة المسماة « غيلد » • وقد جذب التجار هذا التنظيم فى المدن ، ورجبوا بتقويته ، نظرا لحاجتهم للدفاع عن استقلالهم ضد الاسباد الاقطاعيين ، ان النظام الحرفى فى المدن كان متمما للنظام الاقطاعى فى الزراعة • ومع تطور التبادل ، اخذ استثمار الفلاحين يزداد حدة ، خطوة فخطوة ، فكلما اتسع التبادل ، وكلما استطاع السيد الاقطاعى شراء اشياء كمالية وأسلحة لمحاربهه ، كلما وجب عليه بالتالى ، ان يستنزف من فلاحيه أكثر مما كان يستنزف أولا • فصارت حقول الاسباد تتسع على حساب اراضى الفلاحين « والسخرات » تزيد ومعها تزيد « الاتاوات » •

ثم زاد استثمار الفلاحين شدة ، على أثر نشوء دول ممر كزة مكان الاقطاعات الاقطاعية المتعددة • فقد كان تجزؤ البلاد الى مقاطعات يفسح المجال لكل اقطاعى أن يفرض ضرائب على السلع التى تمر فى أملاكه ، ويسك عملته الخاصة النخ • • • وكانت التجارة من جهة أخرى عملا غير مضمون ، بالنظر للغارات المستمرة

التي كانت الجيوش الاقطاعية تشنها على قوافل البضائع • ولذلك كان التجار يريدون هدم استقلال الاقطاعيين • فاستفادوا من النضال الناشب بين الالسياد الاقطاعيين المختلفين ، لينحازوا الى أقواهم ، ويعينوه على اخضاع الاخرين • فلما نشأت السلطة السياسية المركزية ، حلت الجيوش الاقطاعية ، واستبدل بها الجيش الملكي ، فأضيفت الى « الاتاوات » التي كان يدفعها الفلاح الى سيده « اتاوات » أخرى معدة للقيام بمصاريف الدولة الاقطاعية • وصارت هذه « الاتاوات » التي تأخذها الدولة تستوفى أكثر فأكثر نقدا لا محصولا وتحولت من « عينية » الى نقدية • وقد ساعد هذا على تطور الانتاج السلعي ، لان الفلاح صار مضطرا لبيع منتجاته في السوق ليحصل على المال اللازم لدفع الضرائب ، وهكذا وقع الفلاحون تحت نير عبودية جديدة ، اذ خضعوا ايضا للمحتكر والمرابي •

ولقد أدى استثمار الفلاحين المتعاطم شدة الى دفع هؤلاء للهرب ، وفي سبيل الحيلولة دون هذا الهرب لجأ الاقطاعيون الى ربطهم بالارض فأصبحوا أقنانا ، وفي ظل القنانة ازدادت تبعيتهم للاقطاعي وتوثقت ، كما أدى استثمار الفلاحين المتعاطم شدة ، وادخال نظام « القنانة » ، الى انتفاضات فلاحية كبرى انتهت جميعا الى الفشل ( كحركة « الجاكين » في فرنسا في القرن الرابع عشر ، وحرب الفلاحين في المانيا في القرن السادس عشر ، وتمردات رازين بوغاتشيف في روسيا ) • وكان سبب فشلها ان الفلاحين لم يجدوا حلفاء لهم في المدن ، اذ لم تكن البروليتاريا الحديثة قد وجدت بعد •

وحدثت بالمدن تبدلات هامة • فالعلاقات بين المعلمين الحرفيين وصناعهم أخذت تزداد خطورة ، ومثلها العلاقات بين الحرفيين

والتجار • واليك السبب فى ذلك • لقد كان الفلاحون خلال المرحلة الاولى من النظام الاقطاعى ، يهربون باستمرار نحو المدن التى كانت مستقلة استقلالاً ذاتياً ، ويتمتع سكانها بحريتهم الشخصية ، فازداد بهذا الشكل على الاخص ، عدد سكان المدن • وكان هذا مفيداً لها أول الامر ، اذ ان قوتها العددية كانت تزيد باللجوء اليها ، وتنفعها هذه الزيادة فى نضالها ضد الاقطاعيين • ولكن هذا التزايد فى سكان المدن أوجد خطراً هدد الحرفيين ، هو خطر المنافسة • فأخذت « المنظمات الحرفية » تعتمد الى التحديد والتضييق فى قبول اعضاء جدد فى صفوفها ، وأطالت مدد التعليم فى المهن ، وزادت فى استثمار الصناعات حتى صار من المستحيل عليهم ، أكثر فأكثر ، ان يصبحوا معلمين حرفيين • واتخذت المنظمات الحرفية فوق هذا ، تدابير أخرى ترمى الى منع كل الاساليب الجديدة من ان تدخل فى الانتاج والى محاربة تجارة المنتجات المستوردة فكان من ذلك ان نشب النضال بين المنظمات الحرفية وبين التجار •

#### **انحطاط الاقطاعية :**

لقد صار التنظيم الحرفى الاقطاعى بذلك ، عقبة فى وجه كل تطور الانتاج السلمى • وجاءت الاكتشافات الجغرافية الكبرى فى القرن الخامس عشر ( اكتشاف طريق الهند البحرى ، واكتشاف امريكا ) فدفعت التجارة بقوة الى امام •

« فالتجارة بين أوروبا والعالم الخارجى ، التى كانت محصورة فى تجارة ايطاليا مع دول المشرق فحسب ، اتسعت فشملت امريكا والهند ، وتجاوزت من حيث الاهمية جميع المبادلات التى كانت بين مختلف بلاد أوروبا ، وكل التداول الداخلى فى كل قطر على حدة ،

تجاوزا سريعا • لقد جاء ذهب امريكا وفضتها ، فأغرقا اوربا ، وتسربا الى كل ما فى النظام الاقطاعى من ثقوب وشقوق وصدوع ، بصفتها عناصر تفسيح وتهديم • ولما لم يعد الانتاج الحرفى يكفى لسد الحاجات المتزايدة ، استبدل به فى البلاد السابقة فى مضمار التقدم ، نظام المنيفاكتورة «<sup>(١)</sup>» •

واليك الان كيف ولدت المنيفاكتورة الرأسمالية • لقد كان النول الصغير محتكرا فى المدن بيد المنظمات الحرفية • فلهذا ، أخذ الرأسمال التجارى الذى كان من مصلحته تطوير الانتاج ، يوسع دائرة نشاطه الى ما وراء المدن ، فعزز تطور الانتاج الحرفى فى الريف ، وخصوصا انتاج النسيج فكان من ذلك ان وقع « الحرفى » البعيد عن السوق تحت تبعية المتعهد الرأسمالى • وقد اتخذت هذه التبعية بالترتيب الاشكال التالية :

فالحرفى ، أول الامر ، يبيع منتجاته بأسعار رخيصة ، ثم يتلقى من المتعهد بعدئذ نقودا ومواد أولية على سبيل القرض ، فيصبح عاملا يشتغل بصنع المواد الاولية التى تخص المتعهد ، مقدما من عنده آتته الخاصة لا غير ، ورابحا بعد جهد ما يكاد يقوم بأوده •

ويأخذ المتعهد بعد هذا ، بتكتيل الحرفيين المبشرين فى بناء واحد ، حيث يعملون منذئذ كعمال مأجورين محرومين من كل وسيلة للانتاج •

وعندئذ يصبح الرأسمالى التجارى رأسمالا صناعيا ، ويظهر الى جانب الانتاج السلعى الصغير الانتاج الرأسمالى الكبير : أى المانيفاكتوره •

---

(١) انكلز : السيد اوجين دوهرنيغ •

المانيفاكورة هي قوة منتجة جديدة كل الجدة ، ومتفوقة على قوة المنتجين الصغار . فهي تشغل كثيرا من العمال ، يقوم كل منهم بانجاز جزء معين من العمل ، فيكون عمل الجميع من حيث قوة الانتاج أعلى بكثير من العمل المبسر الذي يقوم به المنتجون الصغار . ولم يكن التقسيم الاجتماعى للعمل موجودا قبل ظهور المانيفاكورة بين مختلف المنتجين المستقلين الصغار الذين يربط بينهم السوق . ولكن ، بعد ظهورها ، اخذ تقسيم العمل هذا ، يتحقق فى داخل المانيفاكورة نفسها .

ولهذه القوة الانتاجية الجديدة ، علاقات انتاجية جديدة تناسب معها . فلم يكن الرأسمال من قبل موجودا الا بشكل رأسمال ربائى وتجارى ، وكان التاجر والمرابى يستثمران صغار المنتجين الذين يبيعون منتجاتهم الخاصة . اما منذ ظهور المانيفاكورة ، فلم يعد العامل يبيع منتجاته ، بل صار يبيع قوة عمله . الرأسمالى هو الذى يملك وسائل الانتاج ، ويملك البضائع التى يصنعها العامل ، ولا يتلقى العامل أجره تعادل ما ينفقه من قوة عمله ، بينما هو ينتج القيمة الزائدة للرأسمالى . ان العامل مستثمر من قبل الرأسمالى ، وأسلوب الانتاج صار بهذا الشكل أسلوبا رأسماليا ، وأخذت علاقات انتاج جديدة ، علاقات رأسمالية ، تظهر وتتطور مع نمو القوى المنتجة .

ولكن النظام الاقطاعى كان يعوق التطور التالى لهذه القوى المنتجة الجديدة ، ولعلاقات الانتاج المقابلة لها ، وكان الذى يعوق هذا التطور هو النظام الحرفى فى المدن ، الجزء المتمم للنظام الاقطاعى . غير ان العلاقات الاقطاعية فى القرية ، لم تكن أقل اعاقه لتطور الانتاج الرأسمالى ، فان ارتباط الاقنان بالارض كان يحرم الرأسماليين من



يد عاملة رخيصة • وهكذا نرى الاقطاعية التي كانت متناسبة عند نشأتها ، مع مستوى القوى المنتجة في المجتمع ، صارت متناقضة مع القوى المنتجة المتزايدة ، وصار الفاؤها ضرورة تاريخية •

فلما ازدادت حدة اضطهاد الدولة الاقطاعية للفلاحين وللجماهير البرجوازية الصغيرة ، والعاملة في المدن ، انفجرت الثورات البرجوازية الرامية الى هدم النظام الاقطاعي وفسح المجال امام تطور الرأسمالية • وقد حدثت هذه الثورات في انكلترا في القرن السابع عشر ، وفي فرنسا أواخر القرن الثامن عشر<sup>(١)</sup> •

« ان القوى المنتجة الجديدة التي حركتها البرجوازية ، - وفي الدرجة الاولى تقسيم العمل وحشد عدد كبير من العمال المتخصصين في مايفاكورة واحدة - وكذلك ما خلقتة هذه القوى من شروط التبادل وحاجاته ، كل ذلك صار غير متفق مع نظام الانتاج السائد الذي نقله التاريخ وكرسه القانون ، أي صار غير متفق مع ما في النظام الاقطاعي من الامتيازات الحرفية ، والامتيازات الشخصية والمحلية التي لا تحصى ( التي كانت بمثابة عقبات وعراقيل في وجه الجماعات المحرومة من الامتيازات ) • وكان بالنتيجة ان تمردت القوى المنتجة المتمثلة في البرجوازية ، ضد نظام الانتاج المتمثل في الملاكين العقاريين الاقطاعيين ، ومعلمى المنظمات الحرفية »<sup>(١)</sup> •

---

(١) وفي البلاد التي تطورت فيها الرأسمالية فيما بعد ، وجرت الثورة البرجوازية فيها بعد ان تكونت طبقة البروليتاريا الصناعية ، كما كانت الحال في المانيا سنة ١٨٤٨ وخصوصا في روسيا سنة ١٩٠٥ تفاهمت البرجوازية مع الدولة الاقطاعية ، وتواطأت معها

(المؤلف)

(١) كارل ماركس وفرديريك انكلز : الدراسات الفلسفية •

#### ٤ - الرأسمالية :

لقد تطورت الرأسمالية منذ كان الانتاج السلعي ، اما قبل ظهوره ، فكان الاقتصاد الطبيعي هو السائد لا الانتاج السلعي . ولقد وجد التبادل ، والتقد ، والتجارة ، حتى فى نظام الرق والنظام الاقطاعى ، ولكن الكتلة الرئيسية من المنتجات فيهما لم تكن معدة للسوق ، ولم يصبح الانتاج البضاعى اسلوب الانتاج العام والسائد الا فى ظل الرأسمالية . ولقد طورت الرأسمالية ، على نطاق واسع ، التقسيم الاجتماعى للعمل . فمن المانيفاكتوراة الرأسمالية التى يشكل فيها العمل اليدوى أساس الانتاج ، ينشأ العمل الرأسمالى المجهز بالوسائل الميكانيكية الضخمة وتزداد انتاجية العمل زيادة هائلة ، وتظهر بضائع جديدة ، ويتعظم عدد العامل ، بينما تهدم الرأسمالية بعضا من الاساليب القديمة للانتاج ، وتسيطر على بعضها الاخر ، وتتطور وسائل المواصلات ، وتسرب الى كل زوايا المعمورة ، وتخلق السوق العالمية والاقتصاد الرأسمالى العالمى .

ولكن الانتاج فى النظام الرأسمالى لا يهدف الى تطين الحاجات الاجتماعية ، بل الى تنمية ثروات الرأسمالين . فالسباق الى الربح هو القوة المحركة للرأسمالية . ان كل رأسمالى ، رغبة منه بنوال أكبر ربح ممكن ، وتحت ضغط المنافسة ، يحاول زيادة انتاجه وتشديد استثمار العمال ، وادخال آلات جديدة محسنة فى الانتاج .

وقد سبق ان أوردنا كلمات انكلز التى تقول ان « كل خطوة الى امام فى الانتاج ، هى فى الوقت عينه خطوة الى وراى فى وضع الطبقة المضطهدة ، أى الأكثرية الكبرى من الناس » ، فى المجتمع المنقسم الى طبقات . والرأسمالية تزيد الى أقصى حد خطورة هذا

التناقض فى المجتمع المنقسم الى طبقات •  
« فالنظام الرأسمالى ، الخالق لفاعلية غريبة ، والمحتكر لقوة  
العمل ، والمستثمر لعمل اضافى ، يفوق فى العزم والانطلاق والجدوى،  
كل أنظمة الانتاج القديمة على العمل الاجبارى المباشر،<sup>(١)</sup> •  
غير ان الرأسمالية عندما تطور قوى المجتمع المنتجة ، تبدو ،  
يوما فيوما ، أقل قدرة على السيطرة عليها • واخصب برهان على ذلك  
هى تلك الازمات التى تأتى بصورة دورية فتزعزع النظام الرأسمالى  
وتهدم جزءا من القوى المنتجة •

وهكذا تصبح الرأسمالية ، أكثر فأكثر ، عائقا فى طريق تطور  
هذه القوى التى ولدتها هى نفسها • ومن هنا يتبين ان الغاء الرأسمالية  
بالطرق الثورية ، واستبدالها بالشيوعية ، أى بمجتمع دون طبقات تكون  
وسائل الانتاج فيه ملكا مشتركا ، يصبح ضرورة تاريخية •

وهكذا يؤدى تطور الرأسمالية الى ايجاد الشروط المادية والفنية  
« التكنيكية » الضرورية لبناء المجتمع الشيوعى ، ويخلق فى الوقت عينه،  
القوة المدعوة الى قلب الرأسمالية : أى الطبقة العاملة الثورية ، التى  
يزداد وضعها سوءا كلما تطورت الرأسمالية ، والتى ليس لها من  
مخرج آخر غير قلب الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعى •

### **التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج :**

تبين لنا النظرة السريعة التى القيناها على تطور المجتمع ، ان  
الانتقال من أسلوب انتاج ، الى أسلوب آخر ، ليس وليد الصدفة بل  
ينجم عن اتساع التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، واليك

---

(١) كارل ماركس : رأس المال •

فى بضع كلمات ، كيف عرض ماركس قانون التطور التاريخى هذا :  
« ان الناس اثناء الانتاج الاجتماعى لميشتهم ، يقيمون فيما بينهم  
علاقات معينة ضرورية مستقلة عن ارادتهم وتطابق علاقات الانتاج هذه  
درجة معينة من تطور قواهم المنتجة المادية وعندما تبلغ قوة المجتمع  
المنتجة المادية درجة معينة فى تطورها ، تدخل فى تناقض مع علاقات  
الانتاج الموجودة ، أى مع علاقات الملكية - وليست هذه سوى التعبير  
الحقيقى لتلك - التى كانت الى ذلك الحين تتحرك ضمنها • فبعد ان  
كانت هذه العلاقات اشكالا لتطور القوى المنتجة ، تصبح قيودا لهذه  
القوى وعندئذ يتفتح عهد ثورة اجتماعية » (١) •

ان كل نظام لعلاقات الانتاج ، أو كل تنظيم اجتماعى ، له  
خصائصه سواء أكان شيوعية بدائية ، أم نظام رق ، أم اقطاعية ، أم  
رأسمالية ، أم شيوعية •

ولكن اذا نظرنا الى انظمة الانتاج الثلاثة التى تلت الشيوعية  
البدائية ، نجد ان هناك صفة مشتركة تجمع بينها جميعا : فان علاقات  
انتاجها علاقات طبقية • ان هذه الانظمة الانتاجية يميزها التنازع  
الطبقى ، ويشكل النضال الطبقي فيها الخط الاساسى الذى يحدد كل  
الحياة الاجتماعية • ان الرأسمالية هى اخر مجتمع قائم على التنازع  
بين الطبقات ، اخر مجتمع منقسم الى طبقات ، ويحل مكانه النظام  
الاشتراكى الذى لا طبقات فيه ، وهو المرحلة الاولى للشيوعية • ويبدأ  
بناء هذا النظام الاشتراكى اثر انتصار الثورة البروليتاريا وقيام  
دكتاتورية البروليتاريا •

ان جميع الثورات السابقة كانت تنتهى الى احلال نظام استثمار

---

(١) كارل ماركس وفرديريك انكلز : الدراسات الفلسفية •

مكان نظام استثمار ، اما الثورة البروليتارية فانها تهدم كل استثمار •  
« ان ثورتنا السوفياتية وحدها ، ثورة اكتوبر ١٩١٧ قد وضعت  
المسألة بشكل لا يحل معه نفر من المستثمرين محل نفر اخر منهم ،  
ولا يستبدل معه شكل من الاستثمار بشكل اخر ، بل وضعت المسألة  
بشكل يهدم معه كل استثمار ، ويستأصل جميع المستثمرين وكبار  
الاغنياء والمضطهدين ، القدماء والحديثين » (١) •

ان سيطرة الانسان على الطبيعة ، فى المجتمع المنقسم الى طبقات ،  
تمارس عن طريق السيطرة على الاكثرية الساحقة من المجتمع واستثمارها  
من قبل قبضة ضئيلة من المستثمرين • وهكذا تكون كل خطوة الى  
الامام فى الانتاج خطوة الى الوراء فى وضع الشغيلة • اما الثورات  
البروليتارية فهى على العكس ، تدشن عهدا جديدا ، كل خطوة فيه  
الى الامام فى مضمار الانتاج تعنى فى الوقت عينه خطوة الى الامام فى  
وضع الشغيلة •

وفيه للمرة الاولى ، يصبح المجتمع سيد الطبيعة ، وتتطور القوى  
المنتجة بسرعة لم يبلغها أى مجتمع مبنى على استثمار طبقة لطبقة اخرى •  
وان فى النمو السريع للقوى المنتجة ، وفى ظفر الاشتراكية ، فى  
الاتحاد السوفياتى ، اسطع برهان على ذلك •

### اهمية الاقتصاد السياسى الماركسى :

لقد بين لينين ما للنظرية من شأن فى نضال طبقة البروليتاريا  
حين قال :

« ان حزبا تقوده نظرية الطليعة هو وحده يمكن ان يلعب دور  
المحارب فى الطليعة » • ومعروف ان هذه النظرية الثورية التي تسليح

---

(١) ستالين : « فى الطريق الصالحة » •

الطبقة العاملة في نضالها لقلب الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعي هي الماركسية اللينينية . فلا بد اذن لقيادة الطبقة العاملة الى النصر من معرفة قوانين تطور الرأسمالية وانهارها ومعرفة الشروط الضرورية للتغلب عليها وكما اتنا لا نستطيع السيطرة على قوى الطبيعة اذا لم ندرسها ولم نعرف قوانينها ، فكذلك لا يستطيع حزب البروليتاريا الثوري اذ جهل القوانين التي تسود تطور المجتمع بصورة عامة والرأسمالية بصورة خاصة ، ان يهيء ويطبق استراتيجية وخطة صالحتين وسياسة صحيحة تؤدي الى قلب الرأسمالية وبناء المجتمع الشيوعي . ان ماركس وانكلز هما اللذان كشفنا عن قوانين تطور المجتمع وبرهنا ان علاقات الانتاج بين الناس هي أساس كل الحياة الاجتماعية ، وهما اللذان برهنا ان الاشتراكية ضرورة تاريخية وان دكتاتورية البروليتاريا ضرورة تاريخية ايضا . باعتبارها شكل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

ان مذهب ماركس وانكلز ، الاقتصادى المتعلق بتماشى تطور علاقات الانتاج مع تطور القوى المنتجة يشكل جزءا من الاجزاء الرئيسية فى نظريتهما . ان نظرية ماركس تجد فى مذهبها أعمق تحقيق وتطبيق لها وأكثرهما اطلاقا واشدهما تفصيلا ، وقد صرف ماركس وانكلز اهتمامهما بصورة رئيسية الى دراسة قوانين تطور الرأسمالية وسقوطها ليجدا الطريق الى تحرير البروليتاريا ، فالنظرية الماركسية تضع امامها هدفا مباشرا هو الكشف عن كل اشكال التنازع والاستثمار فى المجتمع الحديث ومتابعة تطورها والبرهان على انها ذات طابع انتقالى وانها لابد متحولة من شكل الى اخر وبذلك تخدم البروليتاريا حتى تستطيع ان تتخلص بأسرع ما يمكن واسهل ما

يستطاع من كل استثمار •

ان نظرية ماركس الاقتصادية اذن سلاح نضالى هائل فى يد طبقة البروليتاريا من أجل قلب الرأسمالية وبناء الاشتراكية ، وقد عاش ماركس وانكلز وناضلا فى عصر كانت تناقضات الرأسمالية لم تبلغ بعد الدرجة القصوى من تطورها ، ولذلك لم يكن بوسعهما ان يحللا الظروف الجديدة التى تخلقها الرأسمالية فى المرحلة العليا والاخيرة من تطورها • ولقد كان لينين هو الذى حلل قوانين هذه المرحلة من الرأسمالية ، قوانين الاستعمار ، وقد بين لينين مستندا على قوانين تطور الرأسمالية التى كشف عنها ماركس ، ان الاستعمار هو الرأسمالية فى حالة النزاع ودور التفسخ والاهتراء • ان الثورة البروليتارية فى مرحلة الاستعمار تصبح ضرورة عاجلة وضرورية ، وان انتصار الاشتراكية فى ظروف الاستعمار ، يصبح ممكنا أول الامر فى بلد واحد ، وقد زاد لينين فى عمق كل المسائل الاساسية للماركسية بما فيها المسائل الاساسية للاقتصاد السياسى رابطا اياها بالاهداف الجديدة للبروليتاريا الثورية •



سيصدر قريبا عن « دار بغداد » :

## ستراتيجية الحرب الثورية فى الصين

بقلم : ماوتسى تونغ





# دار بغداد للطباعة والنشر والنزعة

- تبشر بافكار التقدم والمحبة والسلام
- تبث الوعي الوطني الديموقراطي
- تنشر الثقافة العلمية الصحيحة
- تسهل للشعب الاطلاع على نتاج الفكر الحر
- تسلح الشعب فكريا ضد سموم الاستعمار
- تربط ماضي التراث العربي بحاضر التراث الانساني
- تناضل في سبيل توطيد الجمهورية العراقية وتقدمها
- دار بغداد في خدمة القراء والمؤلفين والمترجمين الاحرار

المراجعة مع دار بغداد رقم التلفون ٨٦٩٩٠